

اليوم الدراسي حول العلاقات الجزائرية الإفريقية 16-20م

المنعقد يوم: الأربعاء 05 فيفري 2020

المنظم من طرف قسم العلوم الإنسانية - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

عنوان المداخلة: علاقة الجزائر بالسنغال وأبعادها الدينية والروحية.

المحور الأول: العلاقات الدينية والروحية

الملخص باللغة العربية

لقد فطر الله سبحانه وتعالى خلقه على الطابع الاجتماعي الذي يضمن لهم استمرارية الحياة وازدهارها، (فإنسان اجتماعي بطبعه) على اختلاف أجناسهم وأقاليمهم لذا لا ريب في أن العلاقات الاجتماعية بين البلدين الجزائر والسنغال لم تكن وليدة اللحظة أو صدفة تاريخية وإنما كانت تضرب في عمق التاريخ لنظر لانتشار الإسلام في ربوع القارة الإفريقية عن طريق رجال التصوف، وبهذا الأخير ازدادت العلاقات الجزائرية السنغالية، ومن المعلوم أن الجزائر هي إحدى البلدان العربية التي عرفت واستقطبت نخبة من الطرق الصوفية على مد العصور والشاهد التاريخي حافل بذلك، ومن بين الطرق الصوفية بالجزائر الطريقة التجانية نسبة لمؤسسها أبي العباس أحمد التجاني الأشعري المالكي.

وفي ضوء هذه المعطيات جاء الاشكال المطروح كالتالي: فيما تتمثل مرتكزات العلاقة بين البلدين؟ وما هي أهم الأبعاد الدينية والروحية التي تجمع بين الشعبين؟

Summary

Allah, the Exalted and Almighty, created His creatures with a social nature that ensures their continuity and prosperity in life. Humans are inherently social beings, regardless of their races and ethnicities. Therefore, it is certain that the social relations between Algeria and Senegal were not born out of a moment or a historical coincidence, but rather rooted deeply in history, considering the spread of Islam across the African continent through Sufi scholars. Through this, Algerian-

Senegalese relations flourished. It is well known that Algeria is one of the Arab countries that has known and attracted elite Sufi orders throughout history, as evidenced by historical records. Among the Sufi orders in Algeria is the Tijaniyya order, named after its founder Abu al-Abbas Ahmad al-Tijani al-Hasani al-Maliki.

In light of these facts, the following questions arise: What are the foundations of the relationship between the two countries? And what are the most important religious and spiritual dimensions that unite the two peoples?

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأُمي الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبعه

بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

لقد فطر الله سبحانه وتعالى خلقه على الطابع الاجتماعي الذي يضمن لهم استمرارية الحياة وازدهارها، (فالإنسان اجتماعي بطبعه) على اختلاف أجناسهم وأقاليهم لذا لا ريب في أن العلاقات الاجتماعية بين البلدين الجزائر والسنغال لم تكن وليدة اللحظة أو صدفة تاريخية وإنما كانت تضرب في عمق التاريخ لنظر لانتشار الإسلام في ربوع القارة الأفريقية عن طريق رجال التصوف، وبهذا الأخير ازدادت العلاقات الجزائرية السنغالية.

ومن المعلوم أن الجزائر هي إحدى البلدان العربية التي عرفت واستقطبت نخبة من الطرق الصوفية على مد العصور والشاهد التاريخي حافل بذلك، ومن بين الطرق الصوفية بالجزائر الطريقة التجانية نسبة لمؤسسها أبي العباس أحمد التجاني الأشعري المالكي.

وفي ضوء هذه المعطيات جاء الاشكال المطروح كالتالي: فيما تتمثل مرتكزات العلاقة بين البلدين؟ وما

هي أهم الأبعاد الدينية والروحية التي تجمع بين الشعبين؟

منهج البحث:

لقد اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليل الذي يحتم علينا تحليل المادة العلمية الخاصة بالدراسة.

أهداف الدراسة:

- بيان طبيعة العلاقة بين الشعبين.
 - التعرف على أثر القوافل التجارية والطرق الصوفية في انتشار الإسلام في السنغال.
 - بيان الأبعاد الروحية بين الجزائر والسنغال.
 - تبيان كيف حافظت الطرق الصوفية على كيان الإسلام في السنغال وبلدان افريقيا.
- ترجع العلاقات الجزائرية السنغالية منذ زمن طويل وذلك لاشتراكهما في قارة واحدة وإسلام موحد لهما، حيث كانت الجزائر تمثل جسر تواصل حضاري وثقافي بينها وبين دول الساحل الإفريقي، والمتصفح في طيات تاريخ يرى أن "الجزائر في العصور الوسطى و الحديثة احدى أهم حلقات التواصل الحضاري بين الشمال و بلدان افر يقيا جنوب الصحراء، إذ شكل مواقعها الجغرافي و انفتاحها على الصحراء الكبرى ، وتعدد المسالك و الطرق نحو السودان الغربي، فنشطت تجارة القوافل، وتنقل العلماء و طلاب العلم بمرونة نحو المراكز الحضارية بالسودان الغربي"⁽¹⁾.

كما ترجع بوادر وصول الإسلام إلى غرب إفريقيا إبان عهد إمبراطورية غانا (1240-300م)، وانتشر

فيها بواسطة معلمين، حيث استقر كثير منهم في مراكز عدة، من أشهرها: تمبكتو وجني وبالذ شنقيط وبيرو

1 - عواج حكيم: اثر الطرق و القوافل التجارية في التواصل الحضاري بين الجزائر والسودان الغربي في العصور الحديثة، مداخلة علمية ضمن الملتقى الوطني الموسوم ب: " التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و20م" يومي 16-17 أبريل 2017م، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، ص1.

وكوكي. وفي القرون الثلاثة الأخيرة، برز في الميدان شيوخ من المتصوفة أنشأوا مراكز للتربية والتعليم وجمعوا فيها تلاميذ من مختلف القبائل والمناطق. وكان الخريجون يقومون عند رجوعهم إلى أهلهم بإنشاء مراكز أخرى. فتعددت المدارس وقام بين روادها عالقات روحية واجتماعية أدت إلى نشأة جبهة دينية تطورت لتصبح مجتمعا إسلاميا، فنشأت في هذا المجال طرق صوفية⁽²⁾.

كما أنه في ذات السياق يعد "التصوف الإسلامي مظهر من مظاهر الزهد الذي تطور في العصر الأول للإسلام وخاصة زمن الصحابة والتابعين، علما بأن الحياة الروحية نمت وتطورت داخل المنظومة الإسلامية، وهذا ما رآه ابن خلدون أنه تطور إلى علم حادث في العلوم الشرعية له أفكاره ونظرياته و تياراته. وقد ظهر التصوف الإسلامي في السنغال منذ عهد المرابطين الذين أدخلوا الإسلام في المنطقة بصفة رسمية في القرن الحادي عشر الميلادي، وكان يغلب عليهم حياة الزهد والتقشف ومجاهدة النفس. وعرفت الحياة الصوفية في البلاد السنغالية تطورا وازدهارا عندما وفدت إليها الطرق الصوفية من شمال أفريقيا مثل الطريقة القادرية، والتجانية، والشاذلية وغيرها. فالإسلام في السنغال إسلام صوفي طريقي، ويكاد يجمع معظم السنغاليين على ضرورة الانتساب إلى طريقة صوفية، ولا يتم إسلام المرء دون تعلق بشيخ صوفي يهديه ويرقيه وذلك اتباعا واعتقادا بالأثر الصوفي القائل "من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه". وعلى هذا فالمواطن السنغالي إما أن يكون منتميا إلى الطريقة القادرية او التجانية، أو الطريقة المرينية المحلية التي أسسها أحد أبناء البلاد وهو الشيخ أحمد بامبا."⁽³⁾

2 - انظر: خلم امباكي: تقرير: الطرق الصوفية في السنغال: بنياتها الاجتماعية وأدوارها السياسية، مركز الجزيرة للدراسات، 5 اغسطس/ اب 2018م، ص2. بتصرف

3 - محمد المختار جي: لمحة تاريخية عن التصوف الإسلامي في افريقيا "السنغال نموذجا"، موقع مؤسسة الشيخ الأكبر للدراسات العرفانية، تاريخ التصفح: 2020/01/24م، رابط الموضوع: <https://al-sufia.com/sufi-ways>

"لقد اعتنق السنغاليون الإسلام منذ القرن الخامس للهجرة 11/مليادي على يد ملك التكرور لي بن وارجابي الذي دخل الإسلام على أيدي المرابطين وتحالف معهم ضد كفار غانة، والسنغاليون اليوم مسلمون إذ يشكل المسلمون % 96 من إجمالي السكان، حيث العقيدة الغالبة فيه هي الأشعرية، ومذهبهم الفقهي هو مذهب الإمام مالك، ويتفشى التصوف في المجتمع السنغالي تفشيًا طاعيًا حتى وصف بعض الباحثين من بني جلدتهم الأمر بأن (كل مسلم في ديارنا في السنغال تجده ينتسب بشكل أو بآخر إلى قيادة من القيادات الروحية التي هي صوفيته.)" (4)

ولقد كانت الجزائر إحدى البلدان العربية البارزة في تصدر الطرق الصوفية التي عرفت ترعرع كبير للتصوف الإسلامي ونشأة مناهجه باعتباره برنامج يضم في أطوائه أساليب ووسائل مستوحاة من فيض الوحي الإلهي لتربية النفس وتهذيبها وتعديل السلوك والطابع الأخلاقي لدى الفرد، وفي هذا المضمار اهتم رجال التصوف في الجزائر بهذا الجانب على اختلاف مشارب كل طريقة وذوقها الروحي، بحث تميزت كل واحدة منها عن غيرها بخصائص متنوعة إلا أن مجملها يهدف إلى تحقيق غاية مثالية واحدة ألا وهي عبادة الله تعالى وتوحيده وتنزيهه، وتهذيب النفس وتخليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل.

وفي وقت تحالكت فيه الظروف الاجتماعية واحتلت فيه معايير الأمن والسلام العالمي في القارة الإفريقية، وتوافدت فيه الديانة النصرانية ادى ذلك برجال الطرق الصوفية في الجزائر بشد الرحال إلى دول إفريقيا في انتشار الإسلام وتعليمهم شعائره وقيمه الروحية (التصوف الإسلامي) في عدة بلدان إفريقية ومن بينها دولة السنغال، حيث شهدت هذه الأخيرة مدا كبيرا لانتشار الطريقة التجانية في شتى أركان بلادها بحيث يغلب

4 - نور الدين شعباني: الطريقة المرينية ودورها في السنغال، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد 5، المجلد 3، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، ص34.

على سكان السنغال الطريقة التجانية. وهذه الأخيرة "فقد انتشرت في غرب إفريقيا بفضل جهود الحاج عمر الفوتي التكروري"⁽⁵⁾، وعرفت انتشارا واسعا بفضل القوافل التجارية التي اتخذها التجاني وأتباعه وسيلة لنشر طريقتهم، فكانت قوافلهم التي تجوب الصحاري مرورا بتوات إلى تمبكتو ومنها إلى السنغال ذهابا وإيابا تحمل البضائع، وفي الوقت نفسه تبث الدعوة بين سكان تلك المناطق وتنظم أمور المريدين وتسهل عليهم إمكانية الدخول في الطريقة وأداء تعاليمها بما كان يوفره التجاني وأتباعه من شروط روحية ومادية تستقطب الجماهير نحو دعوته"⁽⁶⁾.

لقد أضحت الطرق الصوفية فضاء أخلاقي تتجسد فيه مبادئ وقيم الإسلام وشعائره النبيلة، لذا نجد "في ظل تعزيز روابط الاخوة والاستقرار الاجتماعي ومحاربة الشعوذة عملت الزوايا الدينية الجزائرية على إملاء الفراغ الروحي عند الأفارقة بحلقات الذكر أو ما يسمى بالحضرة تعويضا عن حلقات الرقص والعادات

5 - ولد الحاج عمر بن سعيد الفوتي عام 1212هـ/1797م، في قرية حلوار، قرب بودور على الحدود السنغالية الموريتانية، شرق مدينة سان لوي. في عام 1826م ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وقد طاف بالعديد من عواصم المغرب، درس علوم اللغة والأدب والشريعة على أجلة الشيوخ ولقي الترحاب منهم ما عدا علماء الأزهر الذين اختلف معهم حول مسائل فقهية واعتقادية. وفي مصر انظم إلى الطريقة التجانية، وحصل على المشيخة من شيخها العالي التجاني، وعند رجوعه إلى مسقط رأسه أسس رباطا للعبادة بفوتالون قضى بها سبع سنوات يعظ، ويرشد ويعلم، وينشر مبادئ الطريقة التجانية، وانضوى تحت لوائه أنصار وأتباع كثيرون آمنوا بدعوته وطريقته، وفي عام 1848م أعلن الجهاد في سبيل الله ضد الإمارات الوثنية وركز أعماله وجهوده على نشر الإسلام، وعلى محاربة الوثنية والعادات السيئة الخليعة ومحاربة الاستعمار والمتعاونين معه وقد توج هذه الأهداف بعزمه على تحقيق وحدة البلاد الإفريقية في ظل الإسلام. انظر: صالح بوسليم / محمد الزين: حركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية بإقليم توات وإفريقيا الغربية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م، مجلة الحوار المتوسط، المجلد 10، العدد 1، مارس 2019م، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس - الجزائر، ص52.

6 - رضوان شافو: البعد الديني للجزائر في دول الساحل الإفريقي ودوره في تعزيز الاستقرار وروابط السلم الاجتماعي (رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل أنموذجا)، مداخلة علمية ضمن الملتقى الوطني الموسوم بـ: "التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و20م" يومي 16-17 أبريل 2017م، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، ص4.

المخالفة للإسلام، وهذا ما زاد في تعميق التواصل الجزائري الإفريقي، ومن هذا المنطلق اعتبرت الجزائر بعدها الأفريقي عنصرا جوهريا من عناصر هويتها العربية الإسلامية"⁽⁷⁾

وفي هذا المضمار "لعبت التجارة دورا بارزا ومهما في ربط العلاقات والصلات وتحديد طابعها بين هذه المراكز الصحراوية، والمراكز التجارية، والمدن العتيقة، طوال العصرين الحديث والمعاصر، حتى قضى عليها الأوروبيين جميعا خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين واحدة تلوى الأخرى"⁽⁸⁾.

ومن الأبعاد الروحية في العلاقة القائمة بين الجزائر والسنغال توافد الطرق الصوفية إلى السنغال وتمسكهم بأصول الإسلام ومن أبرز الطرق الصوفية التي قامت بهذا العمل النبيل الطريقة التجانية، "ولقد دخلت الطريقة التجانية البلاد السنغالية من مورتانيا على يد الشيخ مولود فال الكبير تلميذ الشيخ محمد الحافظ العلوي الذي أخذها من يد الشيخ التجاني مباشرة كما مر. ولكنها لم تستقر في البلاد وتنتشر إلا على يد الشيخ عمر الفوتي. ثم انقسمت على تعاقب الأيام إلى أكثر من اثني عشر فرعا، ولكل فرع شيخ مستقل عن الأشياخ الآخرين كمت سبق، وتحت كل شيخ مقدمون ولكل مقدم تلاميذ، ولكل هؤلاء مدارس ومساجد وزوايا خاصة بهم منتشرة في المدن والقرى والأرياف، وكان تلاميذ هؤلاء الشيوخ منتشرين في طول السنغال وعرضها، وكذلك في البلاد المجاورة لها مثل مالي وغينيا وسراليون وغانا ونيجريا. هذه الأقسام والفروع كلها تدور حول شخصية الشيخ عمر الفوتي. ولذلك ذهبنا فيما سبق إلى أن الطريقة التجانية ما

7 - المرجع نفسه، ص5.

8 - بريك الله حبيب: القوافل العلمية والتجارية بين تندوف ودول الساحل في القرن 19 و20م رمز تواصل وإشعاع حضاري، مداخلة علمية ضمن المشاركة في الملتقى الوطني الموسوم ب: "التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و20م" يومي 16-17 أبريل 2017م، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، ص2.

انتشرت واستقرت في السنغال إلا على يده، فمثلا إنه هو الذي لقن الطريقة التجانية لشرنو مودجالو والفامات ياخو والفا مايرو وعدد غيرهم"⁽⁹⁾.

ومن صور البعد الروحي للطريقة التجانية موقفها في مواجهة التنصير "أنه في غرب إفريقيا تبدو الأمور مختلفة نوعا ما فيما يتعلق بمواقف الطريقة التجانية من قضية التنصير، ففي مرحلتها الأولى، اتسمت بالعنف ومحاولة التصدي لكل ما يمس بالإسلام بالقوة التي ترجمها الحاج عمر الفوتي السنغالي، وتمكن من إقامة دولة إسلامية تجانية كادت تتحول إلى إمبراطورية إسلامية في غرب إفريقيا بشهادة ساسة الاستعمار أنفسهم، لولا الظروف الصعبة التي كان وراءها الاستعمار بالدرجة الأولى، ثم جاءت مرحلة المهادنة بعد وفاة الحاج عمر سنة 1864م، والتي برز فيها علماء وقفوا في وجه السياسة الاستعمارية الهادفة إلى إفراغ مسلمي غرب إفريقيا من هويتهم الإفريقية الإسلامية بالتعاون مع الجمعيات التنصيرية المختلفة"⁽¹⁰⁾

بالإضافة إلى ذلك قام الدعاة من رجال الطريقة التجانية "بجهود كبرى لتعزيز الوجود الإسلامي ومقاومة التنصير بإقامتهم دور حفظ القرآن، وبناء المساجد والزوايا، والدعوة لاعتناق الإسلام في أوساط غير المسلمين، وتنقية الإسلام من الشوائب، وتوعية المجتمعات الإفريقية في الغرب الإفريقي من خطورة المنصرين، وأصبحت حركة الدعوة قوية جدا بزعامة هؤلاء الشيوخ، حتى أن الاستعمار لما تأكد من خطورة العمل الدعوي، تصدى للدعاة بنفي بعضهم ووضع البعض الآخر تحت الإقامة الجبرية، ومضايقة الآخرين، ولكن

9 - عبد الباقي مفتاح: اضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، دار الكتب العلمية، 2009م، ص 2525، 253.

10 - شيخ لعرح: موف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال غرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، (رسالة دكتوراه) في التاريخ الحديث والمعاصر كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، ص 67.

هذه الإجراءات كلها لم تكن من عزيمة شيوخ التجانية في أداء مهمتهم الدعوية، مما حمل الاستعمار في بعض الأحيان إلى مهادنتهم أملا في احتواء المد الإسلامي واستمالة أولئك الشيوخ." (11)

وضمن هذا الطرح نلاحظ أن أعلام الطريقة التجانية قد أدوا دورا كبيرا في تبليغ رسالة الإسلام والعمل على تهذيب النفس وتعديل السلوك للإخراج الفرد السنغالي من ظلمات الشرك والوهم إلى نور الإسلام.

وفي الأخير نستنتج أن طبيعة العلاقة بين الجزائر والسنغال قد غلب عليها الجانب الروحي والعلمي أكثر من غيره من الجوانب الأخرى وذلك من خلال حركة رجال الطرق الصوفية، عن طريق القوافل التجارية كوسيلة لتبليغ الإسلام ونشر الإسلام ومبادئه وتعليمه اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم والحفاظ على الهوية الإسلامية والوطنية لهم في بلاد السنغال وغيرها من بلاد إفريقيا، حيث عمل في أثناء تلك الفترة على إرساء معالم الإسلام وقيمه الروحية النبيلة وشد أواصر الأخوة والمحبة بين الشعبين ما أدى إلى اتساع رقعة الإسلام وقبول قبول واسع في الدخول إلى الطرق الصوفية.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.